الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

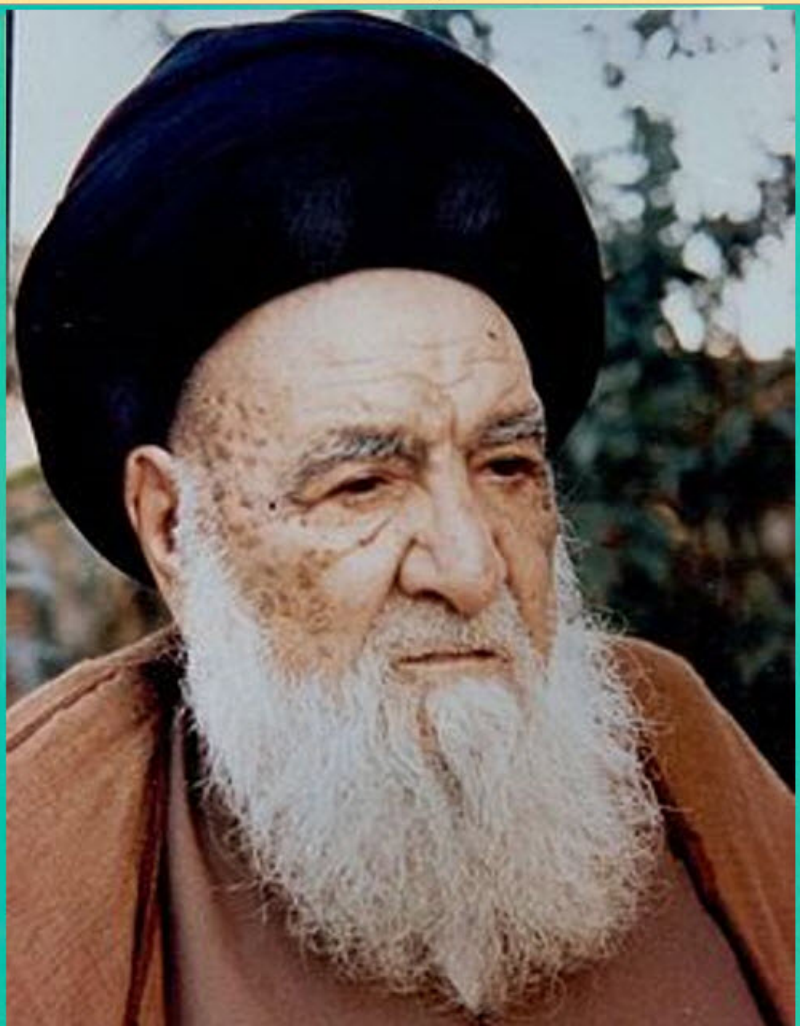

آرشيو مخطوطات
نازه رضا عوض الحلبية
٢١٢٣٠

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

ارث الامـام الخوئي ...

تعتبر المرجعية الشيعية بشكلها الحالي من خصائص الإمامية . وهي نتاج تفاعلات اسلامية سياسية واجتماعية وفكرية معقدة على مدى عصور متعاقبة ولا يعرف ما يشبهها بين الطوائف الأخرى .

ولا تتأتى المرجعية لفقيه مبرز من كبار فقهاء الشيعة بالطرق المعروفة والمطروقة عند الأديان والمذاهب الأخرى . فلا هي انتخابية انتقائية كما هو متبع في الفاتيكان ، حيث يلتئم شمل الكرادلة بعد وفاة البابا فيختارون من بينهم بابا جديداً خلفاً للبابا الذي سبقه ليكرسوه رئيساً عليهم . ولا دور لسلطة الدولة العليا فيها مثل مصر ، حيث يتم تعيين شيخ الجامع الأزهر والمفتي الأكبر من قبل رئيس الجمهورية مع مراعاة بعض الاعتبارات الخاصة كالكفاءة العلمية والفقهية والمكانة المميزة بعد أقرانه من المشايخ والشخصية المقدرة في أنظار الجمهور .

ثم إن المرجعية لا ينالها أحد بالوراثة أو الوصية من المرجع السابق . فأبناء المراجع هم أبعد الناس ـ عادة ـ عن تقلد هذه المهمة الصعبة . ولو فرضنا أن يكون ابن المرجع المتوفى حائزاً على جميع مؤهلات المرجعية فالناس لا يقبلون به مرجعاً بعد وفاة والده مباشرة ، وعليه أن يقف في الصف مع باقي العلماء المؤهلين حتى يصله الدور أو لا يصله . والأمثلة نادرة جداً في تاريخ الشيعة الإمامية على انتقال المرجعية من مرجع سابق كان أباً إلى مرجع لاحق كان ابناً لذلك الأب ، على خلاف ما يقع في اوساط الاسماعيلية جماعة آغاخان حيث يرث الولد زعامة الطائفة من والده وهو لم يكن مؤهلاً لهذا المنصب الخطير .

ولا يشبه الأمر ما هو سائد بين الصوفية حيث يوصي القطب والشيخ بخلافته لبعض المقربين إليه من اتباعه . ولا مانع أن يتولى الولد أو قريب آخر هذا الأمر شريطة أن يوصي بذلك القطب أو الشيخ قبل رحيله . ولا يوجد أي شرط آخر علمي أو غير علمي للجلوس في سدة زعامة فرقة صوفية ما عدا قرار الزعيم الروحي السابق للفرقة .

وما يقال هذه الأيام عن خلافة الإمام الخوئي هو قياس لما يحصل لدى سائر الفرق والطوائف ، ولا ينطبق على القاعدة المتبعة لدى الشيعة الإمامية . فلا الإمام الخوئي كان يتسنى له أن يختار خليفة لنفسه أو أن يوصي أتباعه باتباع من يرشحه ليكون مرجعاً لهم ، ولا كان من الممكن أن يجتمع نفر من كبار علماء الشيعة وينتخبوا أحدهم لخلافة الخوئي . والجدير بالذكر أن الإمام الخوئي لم يكن المرجع الوحيد للشيعة الإمامية ، إنما كان إلى جانبه حين أصبح مرجعاً ، عدد آخر من المراجع . لكن كبر السن راح يطوي حياتهم واحداً بعد الآخر طوال ربع قرن من الزمان ، إلى أن بات الإمام الخوئي في السنين الأخيرة من حياته المديدة التي تجاوزت التسعين ، الأول بين مراجع يقل عددهم عن عدد أصابع اليد الواحدة . وخلاصة القول أن الإمام الخوئي لم يكن المرجع الوحيد حتى يوصي بخلافته لآخر يحل مكانه ، أو تقرر مجموعة من العلماء تسمية أحدهم لخلافته .

■ جيل القمة

وأقرب الساحات إلى المرجعية ، ربما كانت ساحة الشعر والأدب والكتابة مع فوارق كثيرة .

فالصعود إلى القمة بين جيل من الكتاب والأدباء والشعراء لا بد أن يتوفر له شرطان ، أولهما تأييد الخاصة من النقاد وذوي الرأي ، وثانيهما اقبال العامة من القراء . وليس

بمقدور كاتب أو أديب أو شاعر معروف أن يختار لنفسه خليفة في الميدان الذي برز فيه ، وأكثر ما يستطيع عمله هو أن يثني على آثار زميل له أو يمدح عبقريته والباقي يعود إلى جمهور النقاد والقراء ليروا رأيهم فيه ويقدموه على الآخرين من نظرائه ، أو ألا يعثروا على ميزة فنية فيه وينظروا إليه كالآخرين وربما أهلموا شأنه تماماً .

وعلى سبيل المثال ينقل عن الإمام الخوئي أنه كان يحمل كثيراً من التقدير لبعض المبرزين من تلاميذه . وهذا التقدير من قبل المرجع الأعلى ، جعل أولئك العلماء في مقدمة المرشحين لتسلم مرتبة المرجعية كأحد المراجع الكبار ، لكن تزكية الإمام الخوئي وحدها لا تؤهلهم للإنفراد بالمرجعية العليا .

وجرت العادة في المباريات الدولية أن يتولى الحكام البت في اعلان الفائز في المباراة وكذلك في موضوع نيل جائزة نوبل فيوكل الأمر إلى هيئة تحكيم متخصصة . وتختلف المرجعية عن كل ذلك اختلافاً كبيراً . فجمهور العلماء والعامة هم الحكم ولهم القول الفصل . ولا يحصل ذلك بغتة وإنما يتوفر ويتبلور خلال عدد من السنين ربما زادت على عقد وعقدين .

وقوام المرجعية يعود إلى موضوع التقليد . وإيضاح الموضوع أن الشيعة الإمامية تنقسم إلى جماعتين في أمر اتباع الفتوى بشأن فروع الدين : فجماعة هي الأقلية الضئيلة وتدعى «الاخبارية» أو «المحدثون» لا ترى ضرراً في اتباع من قضى نحبه من الفقهاء في الأحكام الشرعية شأنهم شأن أصحاب المذاهب الأربعة من اهل السنة ، وجماعة أخرى هي الأغلبية الغالبية لا تسمح بذلك إلا لأجل محدود حتى يتم اختيار الشخص بين الأحياء من العلماء وهو كفؤ لاتباعه في فروع الدين . والكفؤ يجب أن يكون الأعلم والأتقى بين فقهاء زمانه . وحيث أن الشخص العادي يصعب عليه التعرف إلى من تجتمع في نفسه تلك الصفات من العلماء ، فلا مناص له من الرجوع إلى أهل الخبرة وهم جمهور الفقهاء وكبار المدرسين في المدارس الدينية العليا ، التي اشتهرت بين علماء الشيعة باسم «الحوزات العلمية» ولا تخضع هذه العملية إلى قاعدة متفق عليها تطبق بصورة دقيقة ، إنما تتم بطريقة عفوية وطبيعية ودون التزام وإصرار ، وبيسر وعلى مدى أعوام متعاقبة .

■ مزايا أخلاقية

والمزايا الأخلاقية للعالم المرشح للمرجعية مثل الزهد والكرم والدماثة والصبر والحلم والتدبير ، تلعب دوراً كبيراً في جمع القلوب حول العالم الذي تتجه إليه الأنظار وتجعله يتقدم على أقرانه في احراز مراكز المرجعية وحيث أن درجة الاجتهاد في الفقه لا يمكن بلوغها إلا في سن متقدمة ، ثم لا بد من قطع شوط كبير حتى يمسي الفقيه المجتهد حائزاً على بعض الشهرة ترشحه ليدرج في عداد المراجع ، لذا فإن من النادر أن يغدو أحدهم مرجعاً ولما يبلغ السبعين من العمر . وانطلاقاً مما أوضحنا ، فإن من البديهي أن يتوزع اتباع مرجع أعلى كبير ـ أو بعبارة أخرى مقلدوه ـ على عدد قليل أو كثير من المراجع . ومع مضي الزمن يتقلص هذا العدد رويداً رويداً إلى أن تنحصر المرجعية في نفرين أو ثلاثة منهم وقد بلغوا التسعين من العمر أو أكثر .

وهذا هو الحاصل حالياً . فقد توفي الإمام الخوئي وقد بلغ نحو الثالثة والتسعين من العمر وبقي بعده آية الله محمد رضا جلبايجاني وهو أيضاً قد دخل العقد العاشر من عمره ، ويأتي بعد محمد علي اراكي وهو أيضاً في المرحلة ذاتها من العمر .

ولا ريب أن الأعمار بيد الله تبارك وتعالى . ولكن حسب سنة الله في العالمين ، من المتوقع أن يذهب الاثنان إلى جوار ربهما قبل نهائية القرن العشرين .

■ تاريخ المرجعية

ولم يكن تاريخ المرجعية الشيعية خلواً من الأزمات العاصفة . وكانت هذه الأزمات تحصل حين كان يواجه المراجع الكبار تطورات سياسية مصيرية تفرض عليهم اتخاذ موقف صريح علني إزاءها . وكان الاختلاف في المواقف مقابل تلك التطورات المصيرية يسوق إلى مواجهات عنيفة بين المراجع أنفسهم . ومن أشدها هولاً ما حصل في مستهل القرن الحالي بالنسبة للحركة الدستورية في ايران المسماة «المشروطة» وكان من آثار الصراع بين علماء الدين حولها بين مؤيد ومعارض أن بلغ النزاع ذروته يوم أنهيت حياة آية الله شيخ فضل الله نوري من قبل دعاة المشروطة الغالبين بصلبه على رؤوس الأشهاد ، وشاهد الناس جسده يتدلى من حبل المشنقة ، وهو من كبار المراجع في زمانه لكنه كان يعارض حركة الدستور وتقليد النظم الغربية ويرى بقاء الحكم الملكي كما كان عليه في زمانه ، أي في عهد حكم أسرة قاجار التركمانية لايران .

ويذكر الإمام الخوئي أن الاختلافات الشديدة التي حصلت بين الأمة لأجل المشروطة ، هي التي دعت والده إلى الهجرة من مدينة خوي شمال اذربيجان الايرانية وعلى مقربة من حدود روسيا إلى النجف عام ١٣٢٨ هجرية . وبعد ذلك بسنتين أي عام ١٣٣٠ هـ النحق هو وأخوه الأكبر وسائر أفراد الأسرة برب الأسرة في النجف الأشرف في العراق .

وربما كانت ذكرى الاختلافات الشديدة بسبب حركة الدستور الايرانية وهجرة اسرة الخوئي من جرائها إلى النجف قد تركت قناعة عميقة لدى الإمام الخوئي بأنه من الخير لعلماء الشيعة ألا يخوضوا في الشؤون السياسية ، وكذلك كانت تلك القناعة العميقة سبباً جوهرياً لسلوك الإمام الخوئي في زعامته الروحية سبيلاً هو على نقيض ما كان يرتئيه الإمام الخميني في هذا الباب . وظل الإمام الخوئي على قناعته تلك إلى آخر أيام حياته رغم الآلام الروحية والضغوط المهلكة التي تعرض لها في العراق ، ورغم الغمز واللمز من قبل الجهات العليا في طهران .

وقد رأى ابو القاسم الخوئي النور في مدينة خوي في اذربيجان الايرانية في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٩ وهو نجل علي أكبر بن المير هاشم الموسوي . ولبى الإمام الخوئي نداء ربه في الثامن من شهر أغسطس (آب) الماضي وهو اليوم الذي صادف ذكرى توقف الحرب الايرانية ـ العراقية عام ١٩٨٨ .

وكان الخوئي قد درس مقدمات العلوم على يد والده وغيره في مسقط رأسه وأكمل دراساته العليا وبلغ درجة الاجتهاد في الأحكام الشرعية في النجف ، وأصبح آية الله الخوئي موضع إكبار وتقدير من أساتذته وأصبح في عداد كبار المراجع منذ الستينات وله مؤلفات عديدة في شتى فروع العلوم الاسلامية من فقه وأصول وحديث وتفسير وإنشاء مؤسسات خيرية وعلمية عملاقة في مختلف بلدان العالم ومنها مؤسسة الخوئي الخيرية في لندن التي لها فروع في أنحاء أوروبا وأقطار أخرى .

■ المرحلة الحاسمة

وقد زامنت العقدين الأخيرين من حياة الإمام الخوئي هزات وتطورات في الشرق الأوسط عموماً وفي ايران والعراق خصوصاً . وكانت هذه الهزات والتطورات ومن أشدها الحرب الايرانية ـ العراقية قد أنزلت ضربات قاصمة بمركزية الحوزة العلمية في النجف ، ومن الصعب جداً أن تحتفظ حوزة النجف بمكانتها المرموقة بعد الخوئي ، رغم تواجد بعض كبار العلماء فيها من الذين ترشحهم بعض الأوساط الشيعية للمرجعية .

ثم إن التطور الجذري الذي حصل داخل المجتمع الايراني وهو وقوع السلطة في أيدي علماء الدين وإنشاء نظام ولاية الفقيه والجمهورية الاسلامية الايرانية على يد الامام الخميني جعل للدولة التي مرشدها وخليفة

الامام الخميني فيها اية الله الخامنئي دوراً رئيساً في تسيير دفة المرجعية الفقهية ، إن لم يكن في المجتمع الشيعي بأسره ففي داخل ايران على اقل تقدير . ولن يمكن من الآن فصاعداً البت في امر المرجعية من دون مراجعة السلطات العليا في طهران .

ويبدو من ظواهر الأمور أن المرجعية الفقهية الشيعية سائرة نحو التعددية في المستقبل . ولأسباب عديدة ستتوزع المرجعية على مجموعة كبيرة من العلماء في الحوزات العلمية الكبرى لاسيما الحوزة العلمية في «قم» وفي عدد كبير من المدن والأقطار .

وخلاصة الكلام ان عهداً زاهراً للمرجعية الكبرى مثل عهد الإمام الخوئي ليس من المتوقع ظهوره في المستقبل القريب .

ورثة مرجعية الإمام الخوئي :

نورد في ما يلي الأسماء المرشحة للمرجعية الشيعية في المرحلة المقبلة :

أ ـ البقية الباقية من جيل الإمام الخوئي :

١ ـ آية الله السيد محمد رضا جلبايجاني ـ قم .

٢ ـ آية الله السيد محمد علي اراكي ـ قم .

ب ـ جيل ما بعد جيل الخوئي :

١ ـ سيد عبد الأعلى سبزواري ـ النجف .

٢ ـ سيد علي السيستاني ـ النجف .

٣ ـ سيد علي بهشتي ـ النجف .

٤ ـ سيد مرتضى خلخالي ـ النجف .

٥ ـ ميرزا علي الغروي التبريزي ـ النجف .

٦ ـ سيد محمد الروحاني ـ قم .

٧ ـ سيد صادق الروحاني ـ قم .

٨ ـ سيد محمد الشيرازي ـ قم .

٩ ـ شيخ حسين وحيد الخراساني ـ قم .

١٠ ـ شيخ ناصر أبو المكاري الشيرازي ـ قم .

١١ ـ السيد فاضل القفقازي ـ قم .

١٢ ـ الشيخ صيغاي المنتظري ـ قم .

١٣ ـ السيد وحيد التبريزي ـ قم .

١٤ ـ السيد علي خامنئي مرشد البلاد ـ طهران .

١٥ ـ حاج آغا حسين القمر الطالباني ـ مشهد .

١٦ ـ الشيخ الدامغاني ـ مشهد .

١٧ ـ الشيخ أصف محسني ـ أفغانستان .

١٨ ـ ميرزا حسن الاحقاقي الاسكوئي ـ الكويت .

١٩ ـ الشيخ محمد تقي فقيه ـ لبنان .

جعفر رائد

مجلة المجلة (السعودية) العدد ٦٥٦ (٩٩٢/٩/٨)

★★★

فخر الائمة انت مصباح الهدى وسراج دين الله في الظلمات
غُيبت في حدث فقلت مؤرخاً «العيلم الخوئيُ في الجنات»

الحسين ق ـ النجف الأشرف

جل جلاله
حسن
حسین
فاطمة
سلام الله تعالى عليهم اجمعين